

مجهودات المؤرخين الجزائريين في تحقيق التراث المخطوط – محمد بن عبد الكريم الجزائري- أنموذجا.

The Efforts of Algerian Historians in Editing Manuscript Heritage – Mohamed bin Abdul Karim Al-Jazairi as a Model.



أ.د. بوبكر مريغي *	د. محمد عطية
جامعة عمار ثليجي " الأغواط " (الجزائر)	جامعة عمار ثليجي " الأغواط " (الجزائر)
b.merigui@lagh-univ.dz	med.attia@lagh-univ.dz

تاريخ الاستلام: 2026/01/24 تاريخ القبول: 2026/02/20

• الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على حياة واحد من المؤرخين الجزائريين، الذين أفنوا حياتهم في خدمة العلم والبلاد من خلال المجهودات التي بذلوها، والوقت الذي كرسوه من أجل كتابة تاريخ الجزائر، والمؤرخ هو محمد بن عبد الكريم الزموري الجزائري، الذي عاصر فترة الاحتلال ردحا من الزمن قاربت نصف عمره، وإسندشق عقب الحرية في الجزائر المستقلة.

بعد نهله من مختلف العلوم وتدرجه في الرتب العلمية؛ اختار مترجمنا الكتابة التاريخية هدفا له، وكان قد ألف العديد من المؤلفات. والملفت للانتباه أنه تميز من بين الجزائريين بتحقيق المخطوطات التي تخص تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة. وقد استطاع تحقيق عدد لا بأس به من المخطوطات الهامة التي تخص تاريخ الجزائر، لتصبح مصادر متخصصة في المتناول ويتزود منها باحثو التاريخ.

كلمات مفتاحية: محمد بن عبد الكريم، المؤرخ، التحقيق، التأليف، المخطوط.

Abstract:

This research aims to shed light on the life of one of the Algerian historians who devoted their lives to serving knowledge and the country through the efforts they made and the time they dedicated to writing the history of Algeria. The historian is Mohamed Ben Abdelkrim Zemouri, an Algerian who lived through the period of occupation for a considerable part of his life, nearly half of his lifetime, and spent more than half of it during the period of independence.

After immersing himself in various sciences and advancing through the scientific ranks, the author chose historical writing as his goal, having already authored numerous works. Notably, he distinguished himself among Algerians by editing manuscripts related to Algeria's history in

the modern and contemporary periods. He was able to edit a considerable number of important manuscripts concerning the history of Algeria, making them specialized and accessible sources for history researchers.

Keywords:

Mohamed ibn Abdul Karim, the historian, investigation, authorship, manuscript.

● مقدمة:

يُعد التراث المخطوط الجزائري؛ لاسيما ما يتعلق بالتاريخ، من أهم ما يوجد في الخزائن الجزائرية والعالمية على حد سواء. ولهذا بادر أبناء الجزائر من مؤرخين وطلبة دكتوراه، وكذا مهتمين بذات الحقل، إلى محاولة تحقيق ما وقع تحت أيديهم منه. وكان ذلك بمثابة نهضة علمية حقيقية؛ لإعادة بعث هذا التراث الخاص بتاريخ الجزائر عبر العصور، خاصة في الفترتين الحديثة والمعاصرة. هذا التراث الضخم على الرغم من السرقة والنهب الذي تعرض لها طيلة الفترة الاستعمارية.

ذلك أن الأحداث التي شهدتها الجزائر في هذه الفترة؛ ألقت بضلالها على مختلف المؤلفات، التي أنجزت بعد ظهور المدرسة الإستعمارية؛ حيث أرادت الأخيرة فرض منطقها على الساحة الجزائرية، إنطلاقاً من تأسيس الجمعية التاريخية الجزائرية والجمعيات الأثرية والجغرافية لمدينتي قسنطينة ووهران¹.

ولأجل بلوغ ذلك المرام؛ إنبرى العديد من رجالات الجزائر، وأبنائها البررة، وشمروا على سواعدهم، للخوض في هذا الاتجاه، غير أنهم بالصعاب التي كانت تعترض سبيلهم. ولعل أبرز هؤلاء الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري الجزائري، الذي ساهم في تحقيق العديد من المخطوطات التاريخية في الفترتين الحديثة والمعاصرة. فالدارس للتاريخ العام والجزائري على الخصوص؛ لابد من أن يستعين بهذه المؤلفات، التي لا غنى عنها، بأي حال من الأحوال. ومن هذا المنطلق سنحاول إثارة الإشكالية التالية: فيما يتمثل دور الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الكريم في تحقيق التراث المخطوط؟

أولاً- التعريف بالمؤرخ محمد بن عبد الكريم:

1- المولد والنشأة:

وُلد المؤرخ محمد بن عبد الكريم الجزائري؛ في يوم 25 أفريل 1924م؛ الموافق لـ 1355هـ في ولاية برج بوعريج حالياً موطن أجداده في شمال شرقي ولاية برج بوعريج ، وبالضبط في بلدة زمورة؛ عاش يتيماً منذ نعومة

¹ أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ط3، عالم المعرفة، الجزائر 2015م، ص 27.

أظافره، إذ توفيت والدته وهو لا يزال رضيعاً، أمّا والده فقد توفي وهو في سن السادسة من عمره فقط¹. تلقى تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه، وكانت بدايته بحفظ ما تيسر من كتاب الله، حيث حفظ ما يربو عن ربع القرآن الكريم، في مسجد تلك البلدة، المسمى بمسجد الشيخ ابن فرج، على يد إمامه الشيخ العربي كشاط. ولم تكن المساجد في تلك الفترة تقوم بتحفيظ القرآن الكريم فحسب؛ بل كانت تلقن تلامذتها شتى العلوم، وقد نهل صاحبنا قسطاً وافراً منها، بمسجد آخر وهو مسجد أبو حيدوس، من لدن الشيخ أبو بكر علي. ومن العلوم التي زاولها أصول العقيدة بمتن "الجوهرة"، كما تعلم قواعد النحو بمتن "الأجرومية". ثم إلتحق بتلامذة العلامة أبو حفص عمر الزموري حيث أخذ عنه قواعد النحو كذلك من خلال كتاب "شدور الذهب"²، وأصول الفقه، لرسالة "ابن عاشر". هذا وقد أجز في العديد من القراءات. كما كان للفلك حظ من تعليمه، إذ تلقى صنوفه على يد الشيخ عبد المالك الأخضرري، الذي يكون قد إصطحبه إلى زاوية سيدي موسى³.

2- رحلاته وطلب العلم:

لم يستكن محمد بن عبد الكريم لتلك الظروف القاسية التي كان يمر بها؛ ولم يجد ضالته في الجزائر نظراً لتضييق سلطات الاحتلال على مثل هؤلاء الشغوفين بطلب العلم، لذا نجد الرجل قد عزم على الرحيل، خارج الوطن، ولعل وجهته كانت جامع الزيتونة، حيث إلتحق بأحد فروعه، ألا وهو فرع "منزل تميم"، بنواحي مدينة نابل التونسية شمال شرق البلاد في غضون سنة 1952م.

كما عكف على طلب العلم بهم؛ على يد شيوخ أجلاء، مثل الشيخ محمد الفاضل بن عاشور، والشيخ قريسة والشيخ محمد العابد وآخرون، لا يسعنا المجال لذكرهم. كما تعلم في فترة إقامته بتونس علوماً تخص الأدب والشريعة والتاريخ. وكان ابن عبد الكريم ميالاً للجانب الثقافي والتراث التاريخي. وكانت لا تفوته حلقة من حلق العلم، حيث أراد من خلال ذلك تعويض ما فاتته من سني عمره في الجزائر. ونتيجة لفضوله العلمي الزائد فقد انكب على العلوم التي يقدمها المعهد الصادقي بتونس فأخذ أصناف العلوم العصرية منها⁴.

¹ سمير بن سعدي: "الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري وجهوده في البحث والكتابة والتحقيق والدعوة"، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 9، مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية، جامعة محمد بوضياف "المسيلة 2018م، ص 167.

² ابن هشام الأنصاري: شرح شدور الذهب في معرفة كلام العرب، دار إحياء التراث العربي، لبنان 2009، ص ص 6-23.

³ سمير بن سعدي: المرجع السابق، ص 167.

⁴ سمير بن سعدي: "الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري وجهوده في البحث والكتابة.."، المرجع السابق، ص 167.

ويذكر أنه في سنة 1956م؛ رحل إلى فرنسا وبالضبط إلى مدينة ليون، وقضى هناك ثلاث سنوات في البحث وطلب العلم والتأليف، حيث نظم قصائد شعرية، وحرر مقالات عدة؛ تخص الجزائر زمن عنفوان الثورة المضفرة، التي كانت تدك آخر قلاع الجمهورية الفرنسية الرابعة. ومن المؤسف أنه تعرض كسائر إخوانه الجزائريين إلى مضايقات من طرف الشرطة الفرنسية، عندما لاحظت نشاطه الحثيث لنصرة القضية الجزائرية. ليتم مصادرة كتبه وتقييداته والوثائق التي كانت بحوزته في الفندق حيث يقيم. وبعد إستقلال البلاد عاد إلى الجزائر والأمل يحده لرفع راية العلم عالية خفاقة. هذا وقد تحصل على شهادة الدراسات العليا في التاريخ من جامعة الجزائر في تحقيق مخطوط التحفة المرضية في الدولة البكداشية لمحمد بن ميمون الجزائري، إذ كان الدكتور مولاي بلحميسي مشرفا على هذا العمل، لقد كان ذلك في أواخر سنة 1969م¹.

أكمل مؤرخنا مشواره التعليمي؛ بالحصول على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، من معهد الدراسات العربية سنة 1972م (بالقاهرة)، عندما أنجز أطروحته "المقري وكتاب نفح الطيب"². ومن الجدير بالذكر أنّ المواقف التي تحلى بها محمد بن عبد الكريم اضطرتته إلى مغادرة أرض الوطن، لتكون ليبيا وجهته هذه المرة، بعدما إنضم لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية فيها، وقد وجد الترحاب الكبير من قبل الليبيين، وكان له كتاب عن الراحل القذافي معمر يمتدحه فيه. كما طُلب منه تمثيل الجمعية الدعوية الليبية في باريس، التي انتقل إليها مجددا حيث أُلّف هناك كتبا في مواضيع شتى فكرية وثقافية³.

ثانيا- أهم مؤلفات الدكتور محمد بن عبد الكريم العلمية:

لا يختلف إثنان حول الرصيد الفكري والإنتاج العلمي ليس لغزاته؛ فحسب بل لقيمته التاريخية للمؤرخ، فالرجل قد بذل جهدا لا ينكره إلا جاحد في قراءة جديدة وتمعنة لتاريخ الجزائر. كما أثرى الرصيد التاريخي

¹ سمير بن سعدي : "إسهامات الدكتور محمد بن عبد الكريم في الصحافة المكتوبة"، مجلة تاريخ المغرب العربي، مج6،

1ع، جامعة الجزائر2، 2020، ص9.

² الصالح بن سالم: "محمد بن عبد الكريم مفكرا وعالما"، جريدة البصائر الالكترونية، الصادرة بتاريخ،

<https://elbassair.dz/25092> 2023/09/07م.

³ سمير بن سعدي : "النشاط العلمي والدعوي للدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري بالمهجر"، المجلة التاريخية

الجزائرية، مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية، جامعة محمد بوضياف "المسيلة"، الجزائر 2020م، مج4،

العدد2، ص276.

الجزائري بمؤلفات سواء الكتب المطبوعة أو الأعمال المنشورة التي تخص تاريخ الجزائر في العصر الحديث والفترة المعاصرة، ودراسات أخرى تخص تحقيق التراث المخطوط في الجزائر وخارجها.

كان ذلك نتيجة لطبيعة شخصيته الفريدة من نوعها، كيف لا وهو الذي وُلد في بيئة صعبة للغاية اعتصرت فيها الأحداث واختلطت أوراقها، لتقود الجزائر إلى إعلان ثورة دوت صيحات الله أكبر فيها مشارق الأرض ومغاربها. وكان مؤرخنا شابا يحضن الدنيا بذراعيه، ويرى ويسمع بمآسي وطنه، ولاشك أنه كان عندها محمدا قد إكتسب شخصية وطنية بامتياز، رافعا يده وشاحدا قلمه ليكتب صفحات من تاريخ الجزائر. ويُذكر أنّ عدد مؤلفاته فاقت الستين مؤلفا، جمع فيها الدكتور بين التأليف والترجمة والتحقيق، فيما يخص تاريخ الجزائر، ومنها نذكر نوع واحد عن كل صنف.

1-التأليف:

لعل أهم مواضيع الكتب التي ألفها كانت في الشريعة الإسلامية، لاسيما ما تعلق برأي الشرع في المسائل الفقهية كالزواج من الأجنبي، والزكاة والهجرة وغيرها. ولم يغفل عن تاريخ الجزائر، إذ سلط الضوء على أهم شخصية تاريخية عاصرت الإحتلال الفرنسي للجزائر، وهو حمدان بن عثمان خوجة، وقد خصص له أبرز مؤلفاته الذي وسمه بعنوان: حياة حمدان بن عثمان خوجة ومذكراته¹.

2- الترجمة:

أمّا عن الترجمة؛ فقد ترجم كتاب المرأة²، لحمدان بن عثمان خوجة من الفرنسية إلى العربية. كما ترجم مذكراته أيضا، من الفرنسية إلى العربية. ويُذكر أنّه ترجم محاضرات حول القرآن الكريم، وعلوم الحديث للمستشرق الفرنسي الطبيب موريس بوكاي (Maurice Bucaille). في منتصف العقد الثامن من القرن الماضي³.

3- التحقيق:

كما نال التحقيق من أعماله الاهتمام الكبير؛ إذ حقق ثمانية عشر مخطوطا، ومن أهم ما حقق مخطوط التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية. لابن ميمون محمد الجزائري. ومخطوط وشاح الكتائب وزنة الجيش المحمدي الغالب لقدور بن رويلة. ومخطوط بدائع السلك في طبائع الملك، لمحمد بن الأزرق الأندلسي.

¹ محمد بن عبد الكريم: حمدان بن عثمان خوجة ومذكراته، دار الوعي، الجزائر 2009م، ص ص 5-30.

² حمدان بن عثمان خوجة : المرأة، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، دار الوعي، الجزائر 2009، ص 6-15.

³ الصالح بن سالم: المرجع السابق.

ونجد شخصية حمدان بن عثمان خوجة نالت حظا وافرا من اهتمام مؤرخنا؛ إذ نجده قد حقق له مخطوطتين خلافا لما ذكر- لسنا ندري إن كان مؤلفا بالعربية أم أنه ترجمه- وهو إتحاف المنصفين والأدباء. ومخطوط حكمة العارف بوجه ينفع لمسألة ليس بالإمكان أبدع مما كان¹.

ثالثا- نماذج من تحقيق المخطوطات:

1-منهجه في التحقيق:

اعتمد المؤرخ في عمل التحقيق، على خطة كانت واحدة بالنسبة لكل المخطوطات، التي حققها، بعد جمع النسخ واختيار أحسنها وتصنيفها وترتيبها، بغرض المقارنة، وتتمثل في النقاط التالية:

أ- تحرير المقدمة ويكون فيها التعريف المؤلف وعصره الثقافي، كما كان يقف على الواقع السياسي لكونه حسب رأيه يؤثر في المؤلف أيما تأثير، مثل ما ذكره من حوادث في القطر الجزائري في كتاب التحفة المرضية.

ب- تحقيق متن المخطوط (نصه)، ويكون ذلك بإعادة كتابة النص، كما هو، دون تغيير، ولو حرفا واحدا، مع الإشارة إلى أي تصحيح لخطأ وارد أو سهو وقع فيه المؤلف، أو الناسخ، ويتم ذكره في الهامش (الحواشي).

ج- شرح بعض المفردات التي وردت في النص، لأن هناك مفردات غريبة عن عصرنا هذا لا سميا تلك الواردة في مخطوطات الفترة الحديثة.

د- الاعتناء بآيات الذكر الحكيم (تخريج)، بإرجاع كل آية لرقمها وسورتها، وكذا الأحاديث النبوية الشريفة، كما اعتنى بالقصائد الشعرية.

هـ- وضع التاريخ الميلادي وفقا لما يقابله في التاريخ الهجري الوارد في المخطوطات، وهذا لتسهيل معرفة زمن الوقائع التاريخية، لكون جل المؤلفات تؤرخ بالميلادي عدا مؤلفات العصور الوسطى.

و- وضع الفهارس المختلفة من الأنساب، الشعوب، البلدان، الشخصيات والموضوعات وغيرها².

2- بعض المخطوطات المحققة للدكتور محمد بن عبد الكريم:

¹ الصالح بن سالم : المرجع السابق.

² محمد بن عبد الكريم : مقدمة كتاب التحفة المرضية في الدول البكداشية في بلاد الجزائر المحمية لابن ميمون محمد الجزائري، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2009م، ص 103.

أ-مخطوط التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية: ويكون هذا التحقيق هو أول عمل قام به، كما أشرنا إلى ذلك سابقا، إذ كان مشروع رسالة تخرج من جامعة الجزائر لنيل شهادة الدراسات العليا في التاريخ الحديث سنة 1969م.

والكتاب الذي استقيناه منه هذه المعلومات، طبع سنة 2009م، من طرف مطبعة الجيش بمناسبة تظاهرة تلمسان عاصمة للثقافة الإسلامية. أمّا عن طريقة التحقيق فهي نفسها التي وضعتها سابقا، من خلال منهج الأستاذ في التحقيق. وقد بدأها بمقدمته التي كانت طويلة إذ تقع في ثمانين صفحة، حاول فيها المحقق ذكر الأوضاع السياسية والعسكرية للجزائر إبان العهد العثماني، وما جرى من اعتداءات على حرمة البلاد من طرف الدول الأوروبية، كما خصص جزءا لمدينة وهران، في حين يبين أحوال الثقافة في القطر الجزائري. من خلال عرض أهم المراكز الثقافية الجزائرية. ووضع تراجم هامة ومختصرة حول رجال العلم والثقافة أيضا. وقد أراد من خلال ذلك توضيح العوامل التي ساهمت في تأليف هذا المخطوط.

وذكر مناقب الداوي "محمد بقطاش" (بكداش)، الذي حرّر مدينة وهران، سنة 1708م¹، في قصائد سمّاها مقامات شعرية، كان عددها ستة عشرة مقامة، وهذه عناوين بعضها كالتالي:

المقامة الأولى- في نبذة من أخلاقه المرضية ومما أشار به عليه بعض السادات الصوفية.

المقامة الخامسة- في تغريبه من الجزائر ورجوعه إليها بقدر الحكيم القادر.

المقامة التاسعة- في ذكر الخروج لوهران بقصد غزو الكفرة وما حدث بعده في مقاتلة اللئام الفجرة.

المقامة السادسة عشرة- في إياب خليفة سيدنا - نصره الله- للجزائر، سالما غانما بالأسرى والذخائر².

وردت القصائد في مدح الداوي محمد بقطاش، ووزيره "أوزون حسن"، الذي استطاع تحرير مدينة وهران والمرسى الكبير من الاحتلال الإسباني³، كما أسلفنا. واللافت للانتباه أنها كانت قصائد طويلة، ومختلفة القافية حسب الضرورة الشعرية. وكان الأستاذ يعرضها ويشرح ما فيها، من الألفاظ الصعبة والمهمة، ويزيد على ذلك بذكر العوامل التي أفضت إلى تلك الحوادث التي غيرت مجرى تاريخ الجزائر.

¹ يظل هذا الحدث عظيما، في تاريخ الجزائر الحديث، لأنه بمثابة استكمال لتحرير البلاد من براثن الاحتلال الإسباني، لذا تعدى صداه الحدود. ينظر: يحي بوعزيز: مدينة وهران، دار عالم المعرفة، الجزائر 2009، ص 54.

² محمد بن ميمون الجزائري: المرجع السابق، ص ص 114-263.

³ الأغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا، تح بوعزيز يحي، دار البصائر الجزائر 2008، ص 120.

دَيَّلَ الأستاذ العمل بمصادر كان قد استعان بها في التحقيق، ثم وضع قائمة للملاحق التي أماطت اللثام عن بعض جوانب المخطوط، تخص جلها مدينة وهران. في أبيات شعرية موزونة ومقفاة¹.

ب-مخطوط بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران:

حقق الأستاذ رسالة مخطوطة؛ وردت بعنوان "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر". نُشرت في كتاب مطبوع من طرف دار الوعي بالجزائر 2013م. وهي للمؤلف عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن أحمد أبو جلال المشرفي الغريسي المعسكري (أبو المكارم)، وقد تتلمذ المشرفي على يد كبار علماء عصره، أمثال الشيخ البناني المكي المالكي، والشيخ محمد سعيد القادري. ولعل أبرز تلامذته الشيخ أبوراس الناصري المعسكري². المتوفي في شهر رمضان من سنة 1192هـ الموافق لـ أكتوبر 1788م، دفين دوار الكرط بضواحي مدينة معسكر حاليا³.

ترك المشرفي هذه الرسالة المخطوطة في عدد من الصفحات لم يشير الأستاذ لعددتها، بيد أنها تبدو قليلة جدا

وقد بين أنها تعالج ثلاثة عناصر رئيسية وهي:

- 1- ذكر الإسبان وأصولهم ومواطنهم.
- 2- ذكر قبائل بني عامر وأصلهم ونسبهم وموطنهم، وكذا أهم أعمالهم ضد ساكنة تخوم مدينة وهران طيلة ثلاثة قرون التي بقيها هؤلاء المحتلين للمدينة.
- 3- أما الشق الأخير فيتعلق بالحكم الشرعي في حق هذه القبائل التي ساندت الاحتلال الاسباني لمدينة وهران.

استهل الدكتور محمد بن عبد الكريم تحقيقه لهذا المخطوط بالتقديم له، عارضا نوع هذه الرسالة المخطوطة والنسخ التي اعتمد عليها، إذ يقول بأنه تحصل على واحدة منها في مكتبة بلدية وهران، أما النسخة الثانية التي لم يعتمد عليها كلية بل استأنس بها فقط للتصحيح، فقد عثر عليها في صفحات المجلة الإفريقية التي نشرها الفرنسي بودان (Boudin) وأهم ما ورد فيها:

¹ محمد بن ميمون: المصدر السابق، ص ص 263. 305.

² عبد القادر المشرفي: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، ص 5.

³ المرجع نفسه، ص 6.

كما عرج على حياة المؤلف في سطور، مبينا حياته في طلب العلم ورحلاته وشيوخه وتلامذته. وتقع الرسالة المحققة في ثمانية وأربعين صفحة، منها المقدمة والمتن بحواشيه، التي شرح فيها الأستاذ كل ما هو غامض في متن الرسالة وعرف بالعديد من الأمور التي تتعلق بموضوع الرسالة.

ج- مخطوط وشاح الكتائب وزنة الجيش المحمدي:

وَرَدَ تحقيق هذا المخطوط في كتاب يقع في 166 صفحة، طُبِعَ من طرف دار الوعي بالجزائر سنة 2013م، وكان المؤرخ قد وضع الصفحة الأولى للمخطوط في الكتاب، كما وضع مقدمة شرح فيها أهمية هذا العمل، وأوضح عدد النسخ التي اعتمد عليها في التحقيق، وهي ستة نسخ. ثم ذكر نسب المؤلف ثم إنتقل إلى فحوى هذه المخطوطة، والتي هي في الأصل رسالة كُتبت من طرف المؤلف المذكور سابقا من إichاء الأمير عبد القادر نفسه¹.

وكان مضمون الرسالة واضح لا غبار عليه، وموضوعها يخص تنظيم جيش الأمير عبد القادر، إذ يتلخص في النقاط الآتية:

- 1- تخص تقسيم جيش الأمير عبد القادر إلى فرق عسكرية، كل منها له اختصاص فالأولى، تخص المشاة، أما الثانية فتخص الخيالة، والأخيرة تهتم بالمدفعية (الطبيعية).
- 2- تحتوي على قواعد لصرف العملة في عاصمته تاقدمت، وفي دولة الأمير، وصرفها خارج دولته أيضا.
- 3- تبين هذه النقطة أنواع الألبسة التي يجب أن يرتديها جيش الأمير حسب الرتب من الضباط والجنود.
- 4- تحدد هذه النقطة واجبات ضباط الجيش ممن يشرفون على التدريب وحرص الأمير على ضرورة تطبيقها.
- 5- تحدد المكافآت التي تمنح لعناصر الجيش عند تحقيق الانتصارات من نياشين وأشرطة ذهبية وفضية وغيرها.
- 6- تحدد القيمة المالية لألبسة الجيش والأسلحة.
- 7- توضح شروط اختيار قادة الجيش بعناية واختيار الشجعان والبواسل.
- 8- تبين أحجام وأوزان مثاقيل الأوزان والكيل في دولة الأمير.

¹قدور بن محمد بن رويلة : وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، تحقيق محمد بن عبد الكريم، دار الوعي، الجزائر 2013م، ص ص 5-27.

ولم يقتصر مضمون الرسالة على تلك القوانين؛ بل سنّ الأمير قوانين عديدة لتنظيم الجيش المحمدي الذي يدل على حنكته وتجربته العميقة، في مجال العسكرية، كما تدل على سعة اطلاعه على التطور الذي وصلت إليه جيوش الأعداء لذا كان عليه أن يُطور من إستراتيجيات جيشه هو أيضا.

تقع هذه القوانين في 14 قانونا، تتراوح نصوصها بين مراتب وألبسة الجند، حسب الرتب والمسؤوليات، ولم يغفل الأمير عن تحديد وظيفة كل فرقة لتفادي تداخل الوظائف، كما وضع شروط للعطل في حالة المرض، وتأسيس المستشفيات والأطقم الطبية¹.

ونصت الرسالة أيضا على الحكم الشرعي لمن خالف أوامر القادة العسكريين والعواقب التي تنتظره، ورصد المكافآت في حالة تلبية النداء، والامتنال للأوامر. وتضمنت في الأخير قائمة للجند من ضواحي مليانة حيث بلغ عددهم فيها 800 جندي، بأوصافهم الدقيقة والمناطق التي ينحدرون منها.

يصف المحقق بأنّ هذه الرسالة عبارة عن سجل خاص بالجيش، كان المجندون يطلعون عليها من حين لآخر للاضطلاع بمسؤولياتهم². ويلاحظ هنا أنّ الأمير رأى في اختلاط الجند النظامي لجيشه والمتطوعين وتداخل المهام رأى إلا أنّ ينظم ذلك. الأمر الذي يدل على وجود جيش نظامي لدولة الأمير وليس كما تدعي فرنسا. وكانت الرسالة المحققة لذات الغرض. حيث يقول ابنه في كتاب تحفة الزائر جزء من تلك العملية التي ستوسع لأقاليم دولته والتي منها مليانة³.. وطفق المنادي يقول بأعلى صوته في الأسواق ليبلغ الشاهد والغائب أنه صدر أمر مولانا ناصر الدين بتجنيد الأجناد وتنظيم العساكر من كافة البلاد...³.

يظهر جهد المحقق في قراءة وتتبع كل ما هو مدون في هذا السجل (الرسالة)، وهنّا نرى أنّ الأمير كان حريصا على تنظيم، جيشه للتفوق على العدو منذ البيعة الأولى إلى سنوات نهاية العقد الرابع من القرن التاسع عشر. ولا بد من أنّ الأمير عبد القادر تأثر بما كتب آنذاك حول تنظيم الجيوش مثل كتاب السعي المحمود في نظام

¹ نادى ابن العنابي بضرورة تنظيم الجيش إذ حرّ في نفسه ما وصلت إليه حالة الجيوش الإسلامية ومنها الدولة العثمانية والجزائر، ويعد ابن العنابي بذلك من الأوائل الذين حرصوا على إصلاح أوضاع المجتمعات الإسلامية، وتطوير جيوشها للدفاع عنها في ظل وجود خطر داهم، يتمثل في المحتل. ينظر: أبو القاسم سعد الله : رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1990م، ص ص 113-114.

² قدور بن محمد بن رويلة: المصدر السابق، ص ص 5-27.

³ محمد بن عبد القادر الأمير : تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية، الإسكندرية، مصر 1903م، ص 120.

الجنود الذي ذاع صيته بداية من 1826م، وهي فترة قريبة من فترة دولته¹. لذا كان من الأهمية بما كان الوقوف على مكان الضعف لتدارك الوضع قبل المواجهات المستمرة مع كبار عسكر المحتل.

رابعا- وفاته: أصيب الدكتور محمد بن عبد الكريم بمرض عضال، وهو الربو أقعده الفراش، وفي 09 نوفمبر 2012م، التحق بالرفيق الأعلى عن عمر ثمانية وثمانين عاما، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجعل أعماله ذخرا له ليوم القيامة.

خاتمة:

بعد الاطلاع على الزخم الكبير للإنتاج العلمي والفكري للمرحوم محمد بن عبد الكريم الجزائري، وجدنا أنفسنا عاجزين عن الإمام ولو بالقليل من التراث الذي حققه. حيث وجدنا عددا هاما لاتسع حتى أطروحات دكتوراه للإحاطة به. ونستشف من خلال البحث الذي أجريناه بأن المؤرخ قد حقق مخطوطات ذات قيمة علمية عالجت قضايا عديدة ومحورية في تاريخ الجزائر الحديث. مثل مدح شخصية أحد الدايات الذي ترك بصمة واضحة في رسم حدود إيالة الجزائر. وجانب مهم من مظاهر سيادة الأمير عبد القادر. ما جعله يقف ندا لند في وجه طغيان عتاة المستعمر الفرنسي قرابة عقدين من الزمن. وقضايا أخرى لا تقل أهمية عنها.

وهنا نقول أنّ الوقت قد حان للتعريف بهذه القامات العلمية من مؤرخينا ورجال العلم، والثقافة كما يصفهم المؤرخ، لطلبة الدراسات التاريخية وغيرها، وضرورة دراسة أعمالهم الفكرية والثقافية، التي خلدت أسماءهم بلا شك في هذه الدنيا بعد أنّ قدموا ما عليهم لتبقى راية هذا الوطن عالية.

¹ حاول ابن العنابي أن يذكر المسلمين خاصة قادة الدولة العثمانية وسلطينها بما قام به المسلمون الأوائل، منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى غاية فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح؛ الذي استطاع قهر الكفار وإذلالهم حيث لم تقم لهم قائمة بعدها. ابن العنابي محمد، السعي المحمود في نظام الجنود، ابن العنابي محمد، السعي المحمود في نظام الجنود، مخطوط خاص، رقم 72، ص 60.

- قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر:

- ابن رويلة ، قدور بن محمد : وشاح الكتائب وزنة الجيش المحمدي الغالب، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، دار الوعي، الجزائر 2013م.
- ابن عبد القادر الأمير محمد: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج 1، المطبعة التجارية، الإسكندرية، مصر 1903م.
- ابن العنابي ، محمد: السعي المحمود في نظام الجنود، مخطوط خاص، رقم 72.
- ابن ميمون الجزائري ، محمد : التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية تحقيق : محمد بن عبد الكريم الجزائري، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2009م.
- ابن هشام الأنصاري : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، دار إحياء التراث العربي، لبنان 2009م.
- بن عودة المازري، الأغا : طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر واسبانيا وفرنسا، تح بوعزيز يحي، دار البصائر الجزائر 2008م.
- خوجة ، حمدان بن عثمان، المرآة، تح ابن عبد الكريم محمد، دار الوعي، الجزائر 2009م.
- المشرفي ، عبد القادر: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كني عامر.

2- المراجع:

- ابن عبد الكريم ، محمد : مقدمة كتاب التحفة المرضية في الدول البكداشية في بلاد الجزائر المحمية لابن ميمون محمد الجزائري، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر 2009م.
- بن عبد الكريم ، محمد : حمدان بن عثمان خوجة ومذكراته، دار الوعي، الجزائر 2009م.
- بوعزيز ، يحي: مدينة وهران، دار عالم المعرفة، الجزائر 2009م.
- سعد الله ، أبو القاسم : رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1990م.
- سعد الله ، أبو القاسم : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، ط3، عالم المعرفة، الجزائر 2015م.

3- الدوريات:

- سمير ، بن سعدي : " الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري وجهوده في البحث والكتابة والتحقيق والدعوة "، المجلة التاريخية الجزائرية ، العدد9، 2018م.
- سمير ، بن سعدي : " إسهامات الدكتور محمد بن عبد الكريم في الصحافة المكتوبة "، مجلة تاريخ المغرب العربي، مج6، ع1، جامعة الجزائر2، 2020.
- بن سعدي ، سمير :النشاط العلمي والدعوي للدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري بالمهجر، المجلة التاريخية الجزائرية، مج4، العدد2، جامعة البويرة، الجزائر 2020م.
- بن سالم ، الصالح:محمد بن عبد الكريم مفكرا وعالما، جريدة البصائر الالكترونية، الصادرة بتاريخ، 2023/09/07 م. <https://elbassair.dz/25092>